مجلّتنا وجامعتنا

حنا مينة

الكلمة سمكة غريبة، يتعب صيّادو الكلمات في الحصول عليها. انظروا إلى يديّ، تروا عليهما آثارَ خيوط الصّنارات التي اصطدتُ، كما اصطدتم، كلماتكم/ سمكاتِكم الغريبة، بواسطتها. الحسرة تبقى، لأنَّ السمكة الغريبة، الفريدة، المطلوبة، لمّا تعلق على صنّارتي بعد؛ وإنّي لصبور في طلابها. هكذا علّمني البحر، والبحر معلّمي الذي نقش بالملح، وكوى بالشمس، وجفّف بالرّيح، رسومَه على جلدي؛ فكنت سفيره إليكم، وسفيركم إليه... بعيداً عن التواضع، أو الغرور، لأنّهما الصفتان اللّتان ينزع صيّادو الكلمات قشورهما الطحلبيّة عن شجرة الصّبر التي تُنبت لهم، كلّ يوم، بنفسجةً وعوسجة.

وعندما يتمّ صيد الكلمات، يكون الإبداع، حصراً، بوضع الكلمة في مكانها. ليس هذا سرّاً، أو توصيفاً، لكشف عمليّة الإبداع، أو إرشاد الآخرين إليها. الصُّورة المبتكرة، شعراً ونثراً، تتوقّف على هذا وحده: حسن استعمال الكلمة. فإذا تمَّ ذلك، كان لابُدّ للكلمة، في منظومتها، من وعاء، فيه تأخذ مداها النّشري. وقد كانت مجلّة **الآداب**، طوال اثنين وأربعين عاماً، هذا الوعاءَ النّشري للفكر الخلاّق إبداعاً، في كلّ أجناسه الأدبيّة. فأعطت لنا، نحن صيّادي الكلمات وناظميها في السلك المكهرب، أن نلتقي على صفحاتها، مؤلّفين ومترجمين. وهذا ما جعلها جامعةً للأدب والأدباء على مسافة هذا الزمن الطويل، ودون غيرها من مجلاّت عاشت قبلها وبقيتْ رهينة السلسلة الثقافيّة القديمة وما فيها من بلاغة ونحت وسجع متكلّف... إلى أن جاءت **الآداب**، ومثيلات قليلات لها، آخذةً بالسلسلة الجديدة: سلسلة كلمات الناس الفصيحة، المتجلّية في القصّة والرواية والمسرحيّة

وعاءٌ نشريٌّ للفكر الخلاّق؛ وكتاب كلماتنا المصطادة!

وقصيدة الشّعر الحديث. إلاّ أنَّ **الآداب** الأطول عمراً، الأرحب مجالاً، الأكثر تنوُّعاً، هي المجلّة الجامعة للإبداعات الأدبيّة العربيّة وبامتياز... وهذا حسبها، ومن أجله، كلّيّاً وجزئيّاً، كان تكريمها بمبادرة من الاتّحاد العام للأدباء العرب، وكان لنا شرفُ المشاركة في هذا التكريم.

لقد خرّجت مجلّة **الآداب**، على مدى أربعين ونيّف من الأعوام، أجيالاً متتابعة من الكتّاب العرب الذين تخطّى بعضُهم تخومَ الوطن العربي إلى العالم. فعلت ذلك بانفتاحها على الفكر في كلّ فلسفاته، وباستنادها إلى الموهبة الإبداعيّة بكلّ ما في هذه الكلمة من تحديد صارم، وبانتمائها القومي العربي المؤسّس على واقع راسخ: الدّعوة إلى الوحدة العربيّة، بما هي الهدف الأنبل للعرب كلّهم، ماضياً وحاضراً، ومناداتها بالديمقراطيّة المشرّعة الأبواب، بكلّ ما في الديمقراطيّة من تجلّيات الحرّيّات العامّة، وبالدفاع عن هذه الحرّيّات، دفاعاً دائماً ومشهوداً، وبإعطاء الأدب الصادق مجالاً فسيحاً، لإدراكها أنَّ الأدب الصادق لابدّ أن يكون أدباً تقدُّميّاً صادقاً بالضرورة.

ولئن كنّا، نحن صيّادي الكلمات، قد وُفّقنا، بدرجات متفاوتة، في صيدنا، وكانت **الآداب** كتابَ هذه الكلمات الضخم نحمله شهادة في يميننا، فكيف نوفّق الآن إلى صيد كلمات في تكريم هذا الكتاب السِّفْر، وبشكل يتكافأ ومشاعرَ الحبّ الجميل الذي نحمله لـ **آدابـ**نا وأسرة تحريرها، ولصديقنا العزيز الدكتور سهيل ادريس، صاحب هذه المجلّة وزميلنا في الحرف وصاحب الشوط البعيد السّعيد فيه؟

تحيّة لـ **الآداب**، جامعتنا، وتحيّة لمؤسّسها، السّاهر اليقظ عليها، والمفادي، تضحية، لاستمرارها. وتحيّةً لكلّ من أسهموا، ماديّاً ومعنويّاً، في أداء واجب تكريمها. وإلى أعوام طويلة، مديدة، معطّرة بغالية الذّات الإبداعيّة، هذه الزهرة التي تبرعمت، وتفتّحت، وتضوّعت شذى على صفحاتها، منه قبسنا طيباً في الطيب، ونعمى في النَّعْمَيَات.

دمشق